الجـــمهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العالـــي و البحـــث العلمـــي

جامعة عبد الحميد بن باديس

- مستغانم -

كلية الآداب .



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: الدراسات الأدبية المقارنة

عنوان المذكرة

أوديب وتجلياته في المسرح العربي

بإشراف الأستاذة:

د. هشماوي فتيحة.

من إعداد الطالبة

بونور نصيرة.

السنة الجامعية:2015 -2016.


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الأسطورة هي المغامرة الإبداعية الأولى للمخيلة البشرية التي ما لبثت أن ابتكرت مغامرة جديدة عبر كل منها عن محاولات الإنسان الدؤوبة لكي يمتلك واقعه تملكا معرفيا وجماليا، وقد تجلت هذه المغامرات في حقلين أساسيين:

أولها شفاهي يجمع الحكاية الشعبية بألوانها المختلفة.

ثانيها: كتابي يضم الشعر بمختلف ألوانه والمسرح والرواية والقصة.

ولعل أسطورة أوديب من أعمق الأساطير واغناها بالدلالات والمعاني وأكثرها لغزا، كما أنّهاأشدّ عمقا في تعبيرها عن بدايات الإنسان الأولى.

هذا مثّل لي الحافز للتفكير في كتابة بحث أوديب في المسرح العربي، كذلك ما دفعني إلى معالجة هذا الموضوع هو قلة الدراسات الأكاديمية في هذا الميدان مما قد يجعل من هذه الدراسة رافدا لدراسات تخدم المكتبة.

ومن هذا المنطلق عالجت موضوعي بغية تجلية عناصره وتبسيط محتواه حيث جاء بحثي هذا تحت عنوان "أوديب وتجلياته في المسرح العربي".

وقد حاولنا الإجابة عن الإشكالية التالية:

- ما أهمية دراسة المسرح العربي لأسطورة أوديب؟ ما مدى تأثرهم بها؟ وما مدى انعكاس ذلك في كتاباتهم؟.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا على منهجين رئيسيين هما المنهج الأسطوري ومنهج التحليل النفسي كونهما أكثر المناهج مناسبة لطبيعة هذا البحث فقسم هذا الأخير إلى فصلين فضلا عن مدخل وكذا خاتمة.

في المدخل تم التعريف بالأسطورة ونشأتها وأثرها في الفكر البشري.

أما الفصل الأول فقد قسم إلى مبحثين:

المبحث الأول إستعرضنا فيه أسطورة أوديب بوصفها واحدة من أعمق الأساطير، أما بوصفها مسرحية فهي تعد أنموذجا للمسرحية الكلاسيكية الجيدة وكذلك من حيث كونها عقدة نفسية فقد استعرضت في مدارس التحليل النفسي.

أما عن المبحث الثاني فتناولنا فيه استقبال إوديب عالميا وعربيا.

في حين قسمنا الفصل الثاني إلى مبحثين:

المبحث الأول تناولنا فيه تأثير أوديب المباشر في المسرح العربي من خلال تحليل مسرحية "الملك أوديب" لتوفيق الحكيم.

أما المبحث الثاني استعرضنا فيه تأثيرأوديب غير المباشر في المسرح العربي من خلال تحليل مسرحية حكاية جوقة التماثيل لسعد الله ونوس.

وفي الأخير ختمنا بحثنا هذا بخاتمة جاءت كحوصلة لما تطرقنا إليه.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها والتي كانت نبراس استرشدنا به في هذا البحث من ذلك نذكر:

أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، إستيه كوليت: أسطورة أوديب، تر: زياد العودة، سوفوكليس، أوديب الملك، تر: علي حافظ وغيرها من المصادر والمراجع.

وإذا كان هذا البحث قد تم بصورة واقع الحال الذي انتهى إليه، فإنه قد تم أيضا بفضل كبير لا يقدر بثمن من أستاذتي الدكتورة هشماوي فتيحة على ما أسهمت به من آراء حميدة في سبيل إنجازه وقد فتحت لهذا البحث باب قلبها قبل أن تفتح له باب توجيهاتها السيديدة ولله الحمد والشكر أولا وأخيرا.

1- نشـــــأة الأسطـــــورة:

إن الأسطورة تشكل حيزا زمانيا ومكانيا مهما في تاريخ الحضارات الإنسانية المتعاقبة فما من شعب من الشعوب أو امة من الأمم إلا ولها أساطيرها وخرافاتها الخاصة بهـا ومـن الملاحظ إن ثمة تداخلا واضحا بين هذه الأساطير.

إذ إن الأسطورة الواحدة تنمو وتتشعب لتنتقل من حضارة إلى أخرى عبر المثاقفة الفكريـة والحضارية [1].

والحديث عن الأسطورة في الأدب ومكانها منه لابد وان يسبقه الحديث عن محاولات تعريف هذا المفهوم،نظرا لما أثاره من جدل ومناقشات.

فالأسطورة من ناحية اللغة ما سطر القدماء والأساطير الأباطيل أو الأحاديث التي لا نظام لها [2].

وقد استخدم عرب الجاهلية لفظة الأساطير بمعنى الأباطيل وهم يقصدون بها القصص التي لا يوثق في صحتها، وليس مفهوم اللفظة بهذه الصورة فريدا في اللغة العربية، ففي جميع اللغات ارتبطت لفظة الأسطورة بما لا يصدق أو بما هو لفظ خيال.

والأسطورة قصة خرافية عادة ما تكون من أصل شعبي تصور كائنات تجسد في شكل رمزي قوي الطبيعة، أو بعضا من جوانب عبقرية البشر ومصيرهم.

وهي أيضا حكاية تعيش منذ القدم في تقاليد قبلية أو جنس أو أمة يتوارثها الخلف عن السلف وتدور حول الآلهة والأحداث الخارقة وتختلف عن الملاحم التي تسجل أفعالا إنسانية، وعن الحكايات الخرافية التي ابتكرت لأغراض التعليم والتسلية، والأسطورة تنتهي إلى أشكال الحضارة القديمة وترجع إلى مرحلة سابقة على العلم والفلسفة فهي تفسر بالمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والإنسان [3].

---

[1] عبد المعطي شعراوي "أساطير إغريقية " "أساطير البشر" الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ج 1، ط 1 1982، ص171-173.

[2] ابن منظور "لسان العرب" تنسيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988 مادة "سطر".

[3] عثمان نويه، "الكتاب العربي والأسطورة"، القاهرة 1967، ص160.

كما ترتبط الأساطير ارتباطا وثيقا بالحياة الروحية للشعوب فهي قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة تلخص عددا لا ينتهي من المواقف المتشابهة ويتعين أن يكون أصلها غامضا(1).

2- أثــــرها فـــي الفكـــر البشري:

لقد شكلت الأساطير اليونانية عبر التاريخ معينا أساسيا ومستمرا للكتاب المسرحيين اليونان الذين وصل إلينا إنتاجهم منذ بدايات القرن الخامس قبل الميلاد، وفي كثير من الأحيان كانت الأسطورة الواحدة تطرح نفسها بوصفها موضوعا للمعالجة عند أكثر من كاتب مسرحي، بل لقد كان المشاهد اليوناني يحضر العرض المسرحي وهو يعرف مسبقا الأسطورة التي تدور حولها المسرحية، ولا يبقى جديدا عليه إلا التعرف على البعد الذي اختاره الشاعر من بين أبعاد الأسطورة لكي يتخذ منها موضوعا لمسرحيته [2].(1)

إن التفاعل بين الأسطورة والحضارة والمسرح يظهر في طبيعة كل من هذه العناصر، إذ إن الأسطورة لم تعد مجرد قصة تروي وتشير في خير حالاتها إلى مغزى غالبا ما يكون أخلاقيا، وإنما بدأت تتخطى حدود هذه النظرة البسيطة لتتحول إلى مؤشر حضاري يتعامل مع الوجود الإنساني في انتشاره مكانيا واستمراره زمانيا، إما عنصر المسرح نجده أنه لم يعد يقتصر كما كان من قبل على مجرد دراسة لنصوص مسرحية بهدف النقد الفني والأدبي فحسب أو يهدف التطهير الذي أشار إليه أرسطو في كتابه "فن الشعر" وهو الكتاب الذي خصصه للحديث عن مقومات العمل المسرحي، وإنما أصبح المسرح بعد ظهور المفهوم العلمي في الدراسات الإنسانية والى جانب هذه الأهداف السابقة قناة موظفة في التعبير عن المجتمع في قضاياه واتجاهاته التي تحتوي التفاصيل اليومية وتتخطاها في الوقت نفسه إلى دائرة أوسع، هي القيم والمواقف التي تمس الوجود الإنساني للمجتمع(3).

من خلال هذه المحاولة للتعريف بالأسطورة وعلاقتها بالحضارة والمسرح يمكن القول أنه لا توجد أسطورة حظيت بما حظيت به أسطورة أوديب من معالجة في أكثر من حقل من

[1] عبد المعطي شعراوي "أساطير إغريقية"، "أساطير البشر"، ص175.
[2] كوليت إستيبيه "أسطورة أوديب" زياد العودة، دمشق ط1 1989، ص21.
[3] أرسطو "فن الشعر" عبد الرحمان بدوي، بيروت، دار الثقافة 1973، ص18.

حقول المعرفة، فقد كان هناك العشرات من الدراسات التي ظهرت في كل من هذه الحقول سواء في علم التحليل النفسي أم علم الأنتروبولجيا أو علم الأساطير الميتولوجيا أو النقد الأدبي والمسرحي، وكان هناك اهتمام واسع حظيت به هذه الأسطورة عند الكتاب المسرحيين الذين اتخذوا من أبعادها مقولات لمسرحيات كتبوها سواء تحت الإسم المباشر لأوديب بطل الأسطورة أو في أحوال أخرى تحت عناوين مختلفة.

كلمة شكر

إن الشكر لله عزوجل وحده نحمده ونشكره كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه

الحمد لله الذي أنار لي الدرب وفتح لي أبواب العلم وأمدني

بالصبر والإرادة.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الوالدة الكريمة حفظها الله وأطال عمرها

وجعل دعائها لنا نورا يزين حياتنا

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير

والعرفان الجميل إلى:

الدكتورة "فتيحة"، التي تفضلت علي بالإشراف على هذا البحث ، فكانت نعم الناصحة والمرشدة.

وأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة، وكل أساتذة قسم الأدب العربي بجامعة مستغانم.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة، ومن ساعدني في مقر التربص على مستوى.

بونور نصيرة

إهداء

من نور مبتلج وحب مختلج أهدي ثمرة عملي هذا إلى السراج المنير، حبيب الخلق أجمعين سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم

إلى من أرضعتني يوم ولادتي، إلى منبع الحنان ورمز الأمان، يا من احترق قلبك وترقرق معك إليك أماه، إليه يا فلذة كبدي يا من رحل عنّي وحيدي أبي رحمة الله عليه.

إلى قرة عين إخوتي حفظهم الله.

بـونـور

نصيرة

1. أوديب أسطورة.

لقد ظهرت أسطورة أوديب لأول مرة في العصر المبكر من تاريخ المجتمع اليوناني بشكل مبعثر أحيانا وقريب من التكامل أحيانا أخرى في ملحمتي " الإلياذة "و " الادوسية "المنسوبتين إلى الشاعر اليوناني هوميروس، ولكن يبدو إن أسطورة أوديب كانت شائعة حتى قبل أواسط القرن التاسع قبل الميلاد الذي تم نظم فيه هاتين الملحمتين٬إذ تشير ملحمة الأدوسية في بعض سطورها إلى إن قصة أوديب كانت مشهورة عند اليونان، فتذكر فيها كالآتي: وأبصرت أم أوديبوس الفاتنة التي قامت بعمل وحشي في جهالة من التفكير، إذ قد تزوجت ابنها بعد إن قتل أباه، فتزوجها ولكن الآلهة كشفت هذه الأمور للبشر في الحال، ولكن مع ذلك فان سيدا على الكادميين في طيبة الجميلة، يعاني المحن بسبب خطط الآلهة الضارة أما هي فقد إلى بيت هاديس الحارس القوي، لقد علقت انشوطة في قضيب عال،وقد استبد بها الحزن وشنقت نفسها وخلفت وراءها محنا لا حصر لها، كل ذلك تقوم به ربات الانتقام من اجل أم [1].

كما يشير هوميروس في الإلياذة أيضا بشكل موجز إلى الحروب التي وقعت بين ولدي أوديب إيتوكليس وبولينيس [2].

ولاشك في إن الأسطورة كانت قبل زمن هوميروس، وعليه لا يمكن إن تكون القصة السابقة مطابقة بشكل حرفي للأصل، فالأصل ليس موجودا ولذا فأقدم الآثار المتوفرة عن قصة أوديب تنتمي إلى الأدب [3].

ورأي أخر في تأصيل أسطورة أوديب أو ردها إلى أصلها يذكره الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه "قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر" حيث يقول "غير إن هناك من الدارسين

---

[1] هوميروس، الأوديسية، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1977- 1978، ص287 .
[2] نفس المرجع، ص287
[3] كوليت إستيبه، أسطورة أوديب،تر زياد العودة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ط1 1989، ص9-10.

من يذهب بنا مذهبا آخر في تحقيق نشأة هذه الأسطورة ودخولها في مجموع الأساطير الإغريقية، وأعني بذلك ما كتبه عن أثر هيرودوت في شيوع هذه القصة التي ترجع في الحقيقة إلى أصل فارسي، فهيرودوت يحكي لنا على نحو ممتع تلك المواقع الحربية التي كانت بين الإغريق والفرس في القرن السادس قبل الميلاد، وهو يقصد تأريخها" وهذا التأريخ ينطوي على قصص رائعة، فهناك قصة تبلغ من الطول حدا لا يمكن معه حكايتها هنا هي قصة ميلاد قورش وهي باختصار الحكاية العامة عن الطفل النابه الذي سيولد والذي سيضع أشياء معينة، ويحاول البعض منع الولادة أو قتل الطفل وتفشل المحاولة وتتحقق النبوءة على نحو مفزع. وأسطورة أوديب صورة إغريقية لهذه القصة، ومن الشائق مقارنة قصة قورش التي حكاها هيرودوت بمسرحية أوديب الملك التي الفها صديقه سوفوكليس، فهي في جوهرها نفس القصة ولكنها عند سوفوكليس تحمل مزيدا من الدلالة لا حدّ له " [1].

وإذا نحينا الاختلافات في التفاصيل التي وصلتنا عن الأسطورة فان الخط الأساسي في أحداثها يبدأ من حيث نجد لايوس، ملك مدينة طيبة اليونانية، وزوجة جوكستا " أبيكاستي عند هوميروس" يعرفان من نبوءة دلفي- المدينة اليونانية التي كان اليونان يقصدونها للتعرف على نبوءات المستقبل- إن إبنا سيولد لهما وأنه مقدر له إن يقتل أباه ويتزوج أمه وهكذا حين ولد لهما الصبي قرر التخلص منه على الفور فسلمه الملك لأحد أتباعه لكي يلقي به في العراء حتى يموت، ولكن التابع تأخذه الشفقة على الطفل الوليد فيسلمه إلى راع من مدينة "كورنثه" ويسارع هذا الراعي بدوره فيأخذه إلى بوليوس ملك المدينة الذي لم يكن هو وزوجته ميروبي قد رزقا بذرية فيقومان بتربيته وتسميته أوديب ولكن حين يبلغ الصبي مبلغ الرجال يلمح إليه بعض الشباب أنه ليس إبنا حقيقيا لوالديه، فيذهب إلى مدينة دلفي ليتعرف على سر مولده من النبوءة. وعند مفترق ثلاثة طرق إحداها تؤدي إلى مدينة طيبة تصادفه عربة فيها راكب وبعض أتباعه فيتنازع معهم أوديب على الطريق وعند قتله لبعض ركاب تلك العربة حيث كان من بين المقتولين أباه الحقيقي

[1] عز الدين اسماعيل'قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر'دار الفكر العربي'القاهرة'ط2'سنة1968'ص61'ص62

لايوس ملك طيبة، وحين يصل إلى أبوابها يجد مخلوقا أسطوريا نصفه بشر ونصفه لبؤة يفرض لعنته على المدينة ويلقي على القادمين إليه لغزا إن لم يحلوه قتلهم، ولكن أوديب يحل اللغز حلا صائب يدخل المدينة ويستقبله أهلها استقبال الأبطال بعد أن خلصهم من لعنة المخلوق العجيب ويزوجونه من أرملة الملك الراحل الذي كان أباه الحقيقي دون أن يدري أن من تزوجها تكون أمه وبعد إنجابه منها صبيين وابنتين تحل اللعنة من جديد على مدينة طيبة فيصيبها الجفاف الذي يقضي على الزرع والوباء الذي يقضي على الضرع ويعقم النساء، عندئذ يأتي أهل هذه المدينة إلى قصره مستنجدين به بوصفه رجل الملمات القادر على التوصل إلى الحلول حيث خلص إلى أن للتخلص من هذه اللعنة يكمن في تخلص أهلها من قاتل لايوس ملكها السابق، وهكذا يعمل أوديب بكل ما أوتي من جهد وفكر على اكتشاف الذي ارتكب هذا الجرم، ويلي هذا العدد من المواقف المتلاحقة المليئة بالتطورات المفاجئة يظهر أثنائها ترسياس ذلك العراف الذي رفع عنه الحجاب وأوتي معرفة ما خفي من الأمور، كما يظهر تابع الملك لايوس الذي كان ما يزال يخدم في القصر والراعي الذي كان يرعى قطعان ملك كورنثة، وكان قد تسلم أوديب طفلا وهكذا تنكشف الحقيقة المرة التي كان أوديب محورها الأساسي فتشنق جوكستا نفسها ويفقأ أوديب عينيه.

بعد أن تخلى أوديب عن العرش فعلى الإبن الأكبر بولينيوس الشيء نفسه، وقد رأى أهل طيبة أن هذا العمل حكيم بسبب الوضع اللعين للأسرة وفي الأخير قرروا أن ينفوا أوديب من المدينة وعند طرده ذهبت معه إبنته أنتيغون ترشده في عماه وتهتم به وظلت ابنته الثانية إسمين في طيبة لترعى مصالحه، وتعلمه بكل ما يحدث بشأنه بعد رحيل أوديب عن طيبة، تمسك إبناه بحقهما في العرش وحاول كل واحد أن يكون ملكا ونجح الأخ الأصغر إيتوكليس في طرد أخيه من طيبة حيث هذا الأخير كان غرضه جمع جيش للسير به ضد هذه المدينة.

وصل أوديب وأنتيغون إلى كولون، وهو مكان جميل قريب من أثينا إلى أن مات أوديب، وبعد موت أوديب أرسل ثيسيوس إبنتي أوديب إلى وطنهما وصلتا الفتاتان إلى طيبة، فإذا الأخ

الأكبر يزحف ضد أخيه يريد تطويق المدينة وإسقاطها والآخر يريد الدفاع عنها وكان من المستحيل أن تنحاز الأختان إلى أي جانب [1].

لم يحرز الطرفان في المعركة أي نصر حقيقي، لذلك وافق الطرفان على إنهاء المعركة بمبارزة بين الأخوين فان انتصر أتيوكليس انسحب الجيش الذي يناصره، وأن خسر أتيوكليس صار بولونيوس ملكا ولم ينتصر احد منهما، قتل كل واحد الأخر وفي طيبة بعد أن عادت السيطرة لكريون أعلن أنه يمنع دفن كل من حارب ضد طيبة، فيجب تكريم أتيوكليس بكل مظاهر الدفن التي تليق بأنبل الموتى، أما بولينوس فيجب أن يترك للوحوش والطيور تمزقه وأعلن كل من يدفنه يحكم عليه بالموت.

أما أنتيغون فقد استغلت عاصفة غبارية كثيفة وقامت بدفن جسد آخيها، وقامت بمراسم الدفن فقرر كريون معاقبتها وقتلها، ولكنها تقتل نفسها قبل أن يقوم كريون بذلك، وتختفي إسمين بعد موت أختها ولم يعثر عليها وبهذا تنتهي سلالة أوديب من الوجود[2].

2. أوديب مسرحية:

تعد مسرحية "أوديب ملكا" لسوفوكليس أعظم المسرحيات التي ظهرت في المسرح الكلاسيكي اليوناني والتي عدها ناقد الدراما أرسطو نموذجا للمسرحية الكلاسيكية الجيدة الملتزمة بقواعده وقد طبق عليها نظريته في الدراما أي ما يعرف بنظرية أرسطو[3].

لاشك في أن الشاعر اليوناني القديم لم يكن يريد حين استغل هذه الأسطورة أن يعرض فقط على الشعب الأثيني قصة معروفة، لكنه كان يرمي إلى استغلال هذه الأسطورة في جلاء بعض

[1] أديث هاملتون، الميتولوجيا، ترجمة: حنا عبود، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، سنة 1990، ص412-416.
[2] المصدر السابق، ص417.
[3] أرسطو، فن الشعر، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت سنة 1973، ص 22.

الحقائق المهمة في حياة الإنسان، وقد حاول النقاد أن يجدوا هذه الحقائق وانتهوا إلى تفسيرات اختلفت تبعا لاختلاف الزاوية التي نظروا منها[1].

وأول هذه التفسيرات أن مسرحية أوديب محاولة لعرض مأساة الحاضر الذي يغلب عليه الماضي، وهناك تفسير آخر يرجع إلى الأصلا لأسطوري الذي أخذت منه هذه المسرحية هذا التفسير أن نهاية المسرحية توحي بدرس أخلاقي بمعنى أن الإنسان لا يمكن أن يوصف بالسعادة قبل أن يقطع رحلة الحياة ويوافيه أجله وهو سعيد حقا وشبيه بهذا التفسير تفسير ديني آخر وهو تحذير الناس من أن استقامة أمور هملا ينبغي أن تصرفهم عن الحقيقة الكبيرة وهي أن الآلهـــة تستطيع أن تقضي على سعادتهم فتبدلها إلى شقاء وأن الإنسان لا ينبغي لذلك أن يغتر بما يصيبه من نجاح[2].

قسم سوفوكليس مسرحية "أوديب ملكا" إلى ثلاثة فصول أول هذه الفصول يبتدئ عند فاتحة المسرحية حين يأتي أهل طيبة إلى قصر أوديب يلتمسون منه أن يجد طريقة يخلصهم منها من لعنة الوباء الذي الم بالمدينة، ثم يتدرج حتى نعرف أن سبب اللعنة هو أن قاتل لايوس الملك السابق لطيبة مايزال مقيما بالمدينة، وينتهي الفصل الأول بانتظار ترسياس بكلماته أن أوديب هو الرجل الذي ارتكب الجريمة ويلي هذا الفصل، الفصل الثاني الذي ينطق فيه العراف ترسياس أن أوديب هو صاحب الجريمة وزاد عليها أنه تزوج من أقرب الناس إليه أمه الملكة جوكستا، أما الفصل الثالث نجد فيه أوديب يفقأ عينيه أمام بشاعة الحقيقة التي عرفها.

يبدأ الفصل الأول بحوار يدور بين أوديب وأفراد الجوقة، وهنا نجد أن كاهن الإله زيوس وهو رئيس الجوقة يخاطب أوديب بعد أن يشرح له أبعاد الخطب الذي ألّم بالمدينة فيقول: "قد هبط على المدينة إله يحمل نار فرماها بشرّ الوباء فزلزل بيت كادموس... ولست أراك كفؤ للآلهة ولا يضعك أبناؤنا هؤلاء الحافون من حولك في مستوى الآلهة، ولكن نعدك أول الرجال أن أصابتنا مصيبة وأول من يسال الآلهة أن تتلطف في بلايا المقادير، فقد قدمت فعتقت مدينة كادموس مما

[1] عزالدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، ص69.

[2] إبراهيم عبد الرحمن محمد، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، سنة1986، ص185-187.

كان في أعناقها من ديون كنا ندفعها جزية للمعيشة القاسية وفعلت ذلك دون أن ندلك عليه أو نبينه لك وإنما فعلته بعون الله فأصلحت بالقول والنوايا حياتنا"[1].

وهنا نرى أن أهل طيبة يلجؤون إلى أوديب ليس بوصفه حاكما عليهم في المقام الأول، فهم قد ولوه على مدينتهم بعد أن حل اللغز للمخلوق العجيب وأزال عنهم اللعنة.

ولأوديب شأن كبير أيضا إزاء الآلهة، فالإنجاز الذي حققه كان بوحي منها ومع ذلك فأهل طيبة لا يذهبون في ملتهم إلى معبد هذا الإله بل يأتون الى أوديب، كما يذكر ذلك كاهن الإله زيوس كبير الآلهة في موضع سابق من المشهد حين يقول: "أوديب يا ولي وطني، إنك ترانا على اختلاف أعمارنا مجتمعين... ومنا شيوخ قد اتقلتهم الشيخوخة، وأنا قديس زيوس وهؤلاء هم صفوة شبابنا"[2].

كاهن كبير الآلهة هو الذي يأتي الى اوديب الرجل قبل أن يكون أوديب الحاكم حين يلم الخطب بالمدينة وليس أوديب هو الذي يذهب إلى معبد الآله وكاهنه حسب ما هو طبيعي ومعتاد، مع أن كاهن زيوس يذكر في أثناء حديثه مع أوديب أن العامة قد تجمعوا في ساحتي نهر أسمينوس ولكن هؤلاء هم "العامة" الذين ينتظرون الذي يأتي ولا يأتي.

أما الكهنة ونخبة الشباب الذين ذهبوا إلى أوديب فهم أهل الراي الذين جاؤوا ليشرحوا قضيتهم ويطلبوا التوصل إلى حل لها ونجد أوديب غير غافل عما ألم بالمدينة: "يا أبنائي أنكم أهل للأسى، وما جئتم تبتغونه أمر معلوم لا أجهله، أني لا أجهل ما تألمون منه، ومهما تألمون فلن يألم أحد مثل ألمي أن المكم يصيب كل امرئ في نفسه لا يتجاوزه إلى غيره أما أنا فتذهب نفسي حسرات على المدينة وعلى نفسي وعليكم جميعا "وهي ليست معرفة سلبية يتوقف عندها أوديب.

وإنما هي معرفة يعقبها من جانبه تدبر للأمور، حيث أرسل صهره كاريون إلى محراب الإله أبولو في مدينة دلفي ليعرف كيف يخلص المدينة، كذلك أوديب حين يلتقي ممثلي أهل طيبة

---

[1] سوفوكليس، أوديب الملك، ترجمةً: علي حافظ، الكويت، ط1 1972، ص 34-36.
[2] المصدر السابق، ص 56.

أمام قصره يحرص على أن يعرف منهم ما يمكن أن يكون قد غاب عنه: "وقد رأيت يا أبنائي أن أسعى إليكم بنفسي لأعلم خطبكم ولا إنتظر حتى يأتيني بنبئكم رسول"[1].

ثم ننتقل الى المشهد الثاني من هذا الفصل وهو المشهد الذي يبدأ بعودة كريون ومعه ما عرفه عن سر اللعنة، يوجه إليه أوديب فيضا من الأسئلة فكان أول رد لكريون لسبب اللعنــة، وهو أن قاتل الملك السابــق لايوس ما يزال بالمدينة وأن الخلاص مــن هذه اللعنة يكون بقتل

القاتل أو نفيه من المدينة وبمجرد أن يعرف ذلك يبدأ أوديب باستفساراته : "هل قتل لايوس في أرض هاو في بيته أو في أرض غريب؟ هل من رسول أو رفيق سفر يدلنا على ما يعلم؟"

ويتساءل مـا الذي منع أهل طيبة مـن التحقيق في هذا الأمـر بعد أن قتل لايوس مباشرة، وحين يعرف من إجابة كريون أنهم شغلوا آنذاك بوطأة المخلوق العجيب يكون قراره المباشر"سأبين لك الأمر من أوله، أن أبولو قد أحسن وأحسنت أنت معه إذ جعلتما لمن مات هذا القدر، وستجد إني نصير لكما منتقم لهذه الأرض ومنتقم للإله أيضا "ولم يكن استفساره وقراره هما كل شيئ في سبيل تهيئة الأمور للبحث عن الحقيقة في حين يشير أفراد الجوقة عليه بالإستعانـــة بالعراف ترسياس نجد أن أوديب لم تفته هذه الفكرة: "أني لم أقصّر في هذا الأمر، فقد إتبعت نصيحـــة كريون وأرسلت إليه رسولين، وأعجب أنه لم يأتي منذ حين" وهكذا يصبح كل شيئ معدا للجزء الثاني من المهمة التي كرس نفسه للقيام بها.

وإذا كان هذا التتبع الدائب لمعرفة أبعاد الموقف توصل إلى بدايـة الطريق فــي البحث عن الحقيقة قد ظهر في الفصل الأول فإن الفصل الثاني من المسرحية يبرر الدأب نفسه، ففي بداية هذا الفصل يحضر ترسياس الذي يعرف الحقيقة والذي يرفض الإدلاء بما يعرف أمام الإلحاح المستمر لأوديب[2].

"يا إلهي ماذا ينفع العلم الذي لا ينفع صاحبه؟ قد علمت ذلك ثم نسيته وإلا فما كنت لاتي هنا" وهذه التلميحات كانت كفيلة بأن يتوقف أوديب عن الأسئلة و يتحسب للنتائج قبل المضي في تقصيه للحقيقة، ولكن سوفوكليس لا يريد لبطل مسرحيته أن يكون هذا الإنسان العادي لذلك يأتي

---

[1] المرجع نفسه، ص61.
[2] سوفوكليس، أوديب الملك، ترجمة: علي حافظ، ص45.

رد أوديب صارما بأن عليه أن يعرف كل شيئ. ثم يمضي في إصراره الذي يصل إلى التلميح بإتهام ترسياس بأن له يدا في الجريمة وعندها يواجه العراف أوديب بما يعرف أن أوديب هو الذي قتل الملك لايوس وأنه فوق ذلك يعاشر في الخطيئة أقرب الناس إليه "أمه" دون أن يدري بالعار الذي يتمرغ فيه.

ولكن هل تكون هذه نهاية المطاف في البحث عن الحقيقة بالنسبة لأوديب؟ أنه لم يطلب ترسياس العراف إلا بعد أن ألحّ عليه كريون كما رأينا سابقا، فالإعتماد على العرافة والعرافين قد يكون وسيلة الإنسان العادي في التعرف على الأمور ولكن ليس أوديب الذي ينشد المعرفة الحقّة ويتميز بها. وهكذا يعمل أوديب فكره في اتجاه آخر. إن العراف قد يكون مدّعيا أو كاذبا، وقد تكون المسألة في حقيقتها مؤامرة من جانب كريون يقوم فيها ترسياس بتلطيخ إسم أوديب تمهيدا لإستلاء كريون على الحكم وهكذا يوجه أوديب إتهامه لكل من كريون وترسياس.

وفي هذا الصدد يلتقي ثلاثة أشخاصا يحاول في حديثه مع كل منهم أن يجمع كل ما يستطيع جمعه من تأصيل ويقابل بشكل مستمر بين هذه التفاصيل توصلا إلى تصديق أو تكذيب ما ذكره العراف[1].

في أول هذه اللقاءات كان مع زوجته جوكستا يعرف أن الملك لايوس زوجها السابق، قد عرف من نبوءة دلفي أن إبنا سيولد من جوكستا وأن هذا الإبن سيقتله وهكذا حين أنجب منها صبيا أرسله مع أحد أتباعه ليلقي به بعيدا عن جبل كيثايرون حتى يموت في العراء، كذلك يعرف أوديب في هذا اللقاء أن لايوس قد قتل عند مفترق ثلاثة طرق بيد مجموعة من قطاع الطرق ليسوا من أبناء طيبة وهذا الحادث قيل مجيئ أوديب بفترة وجيزة إلى طيبة أول مرة. يبدأ الشك يساوره ويدرك أن مصيره أصبح معلقا على كلمة التابع الذي كان رفقة لايوس ونجا من القتل، وهكذا يطلب أوديب من جوكستا أن ترسل في طلب هذا التابع الذي كان قد غادر القصر منذ أن حل به أوديب بينما يلتقي هو رسولا أتى من كورنثة في أثناء حديثه معه يعرف أوديب أنه لم يكن إبنا حقيقيا لبوليبوس ملك كورنثة كما كان يعتقد، وأن هذا الرسول كان قد قدمه إلى الملك الكورنيثي بعد

[1] المصدر السابق، ص 46.

أن تسلمه كطفل وليد، وحين يسأل جوكستا تحاول أن تصده بكل الطرق عن المضي في بحثه لأنها كانت قد تيقنت بعد ما ذكره الرسول من الحقيقة المرة الكاملة فهي أعطت الطفل للخادم حتى يموت في العراء.

- جوكستا: بحق الآلهة أعرض عن هذا الأمر أن كنت حريصا على حياتك كفى بما نزل بي من مرض.

- أوديب: لا أستطيع أن أطيعك ولا أعرف هذه المسألة صراحة.

وتنتهي أحداث الفصل الثاني من المسرحية حين يحضر التابع الشخص الذي يعرف كل شيئ على أساس الواقع، فهو الذي أخذ الطفل الوليد وسلمه إلى الراعي الكورنثي وهو الذي رأى أوديب يقتل لايوس وهو الذي رآه يتزوج من جوكستا[1].

أوديب: ويل لك أن أعدت عليك هذا السؤال مرة أخرى. وقد سمع وعرف وتأكد.

ويأتي الفصل الأخير من المسرحية ليظهر ما آل إليه بحث أوديب عن الحقيقة، فأوديب لا يكتفي بالوصول إليها ولكنه يتحمل نتائجها أنه لم يقنع بعد أنه إكتشف أنه قاتل أبيه بأن يفرض على نفسه الحكم الذي كان سيفرضه على القاتل، وهو القتل أو النفي ولكنه يفعل ما هو أشد فيفقأ عينيه بنفسه ويطلب إلى كريون أن يبعث به إلى المنفى.

- الخادم: لا تسألني أكثر من ذلك بحق الآلهة عليك أيها الملك.

وعلى الرغم من أن سوفوكليس يضع على لسان أوديب شيئا من الرثاء لنفسه وهو أمر وارد إنسانيا بل وارد تراجيديا لإظهار هول ما يمكن أن يؤدي إليه إكتشاف الإنسان لحقيقة نفسه. إلا أن الشاعر يجعل بطل المسرحية يتحمل مصيره ويصمد أمامه، وهكذا نجد أوديب يقول: "فمصائبي لا يستطيع أحد أن يتحملها سواي" فأوديب هو الذي يحكم على نفسه، ويشير في مناسبة خاطفة إلى يد الآلهة فيما حدث له دون أن يتوقف عن هذه المسألة ليناقشها وذلك حين يساله أفراد الجوقة عما جعله يؤدي بنظره :"إنه أبولو، إنه أبولو يا أحبائي هو الذي رماني بهذه البلايا ولم يفقأ عيني أحد سواي أنا الشقي، ما غنى النظر أن كنا لا نرى ما تقرّ به أعيننا" وبهذه يكون سوفوكليس

[1] المصدر نفسه، ص 87.

قد وضع كل شيئ في بنائه لمسرحيته ليبين أن مأساة أوديب كانت في صعوده الكبير وفي سقوطه الكبير هي البحث وراء الحقيقة توصلا إلى المعرفة الحقّة[1].

3. أوديب العقدة النفسيـة

نشر فرويد عام 1900 كتابه تفسير الأحلام وقد ذكر فيه أسطورة أوديب الإغريقية وقادته تجربته بوصفه طبيبا لأن يرى في حب الطفل لأحد والديه وكراهيته للآخر عقدة الغرائز النفسانية التي تحدد لاحقا ظهور العصاب، هذا الإكتشاف الذي بدأ لفرويد عموميا في تطبيقاته يجد ما يؤكده - حسب قوله- في أسطورة وصلت إلينا وهي أسطورة أوديب حيث يقول: "لقد جاءتنا من الزمن القديم أسطورة لا سبيل إلى أن نفهم فعلها العميق الشامل في النفوس إلا إذا كان الغرض الذي قدمته في سيكولوجية الطفل صحيحا كذلك صحة شاملة، وأن أشير هنا إلى أسطورة الملك أوديب وإلى مسرحية سوفوكليس"[2].

لقد كانت الأسطورة والمسرحية شفافتين للغاية وواضحتين لذهن الطبيب النفسي، ولذلك كشفنا معاني بديهية أضفت على النظريات السيكولوجية لفرويد بوصفه طبيبا ضمانة عالمية المفعول لكن أين يمكن هذا المعنى الذي يمكن أن يكون قد انكشف لفرويد مباشرة ومن بعده لكل المحللين النفسانيين كما لو كانوا مثل ترسياس قد أوتوا موهبة البصيرة المزدوجة التي جعلتهم يتوصلون إلى حقيقة يعمى عنها الإنسان العادي وتتجاوز أشكال التعبير الأسطورية أو الأدبية؟

إن هذا المعنى ليس ما يبحث عنه المختص أو المؤرخ، إنه يتأتى من ردود الأفعال المباشرة للجمهور، ومن الأنفعال الذي يستثيره فيه العرض المسرحي، وفرويد في هذا المجال يبدوا واضحا وجازما للغاية "فالنجاح المستمر والعالمي للتراجيديا أوديب هو الذي يبرهن على

---

[1] سوفوكليس، الملك أوديب، ترجمة: علي حافظ، ص94.

[2] سيجموند فرويد، تفسير الأحلام،تر: مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، ط1 1969، ص277.

وجود مجموعة من التوجهات في نفسية كل أطفال الكون مشابهة لتلك التي حملت البطل نحو هلاكه وإن كانت مسرحية أوديب ملكا تؤثر فينا كما كانت تفعل في مواطني أثينا، فذلك لا يعود لأنها تجسد تراجيديا الحتمية القدرية التي تعاكس ما بين السلطة المطلقة الإلهية وبين الإرادة المسكنة للبشر حسب الإعتقاد الشائع قبلا، وإنما لأن مصير أوديب هو بشكل من الأشكال مصيرنا نحن ولأننا نحمل في داخلنا اللعنة نفسها التي لفظتها النبوءة ضد أوديب. إن أوديب عندما قتل أباه وتزوج أمه قد نفذ الرغبات الطفولية نفسها التي نشعر بها نحن ونجهد لنسيانها، وبذلك تكون التراجيديا مشابهة في كل مناحيها للتحليل النفسي، فهي عندما ترفع الغلالة التي كانت تغطي وجه أوديب الذي قتل أباه وارتبط بعلاقة محرمة مع أمه، فإنها في الوقت نفسه تكشفنا لذاتنا، ومادة التراجيديا هي الأحلام التي حلم بها كل منا ومعناها يتبدى للعيان بشكل صارخ في الرعب والشعور بالذنب الذي يجتاحنا عندما تقفز رغباتنا القديمة بقتل الأب والإتحاد مع الأم إلى وعينا الذي كان يتظاهر بأنه لم يشعر بها إطلاقا[1].

وقد تطور تفسير الأساطير بوصفها رموزا تطورا جديدا لدى فرويد وأتباعه، وفرويد كما هو معروف واضع نظرية اللاشعور وقد نشأت نظرية فرويد في تفسير الأساطير من خلال معالجته للعصابات، أي الأمراض التي تميز الإنسان المعاصر لهذا فمن الطبيعي أن يكون تفسيره للإنسان البدائي باعتباره إنسانا عصبيا وتفسيره للطقوس البدائية على أنها عصابات جماعية وعلى وجه التحديد نظريته القائلة بنشوء الأخلاق والدين من عقدة أوديب.

يفترض فرويد أن الإنسان كان يعيش في الماضي السحيق في قبيلة بدائية يتزعمها أب قوي وغيور، وقد تّملك هذا الأب على جميع نساء القبيلة و أبعد أبناءه الناشئين الذين كانوا يحبونه ويخشونه في نفس الوقت ومن هذا الموقف المتناقض نشأت عقدة الأب عند الأبناء وهي عقدة أوديب الأصلية "وقد تجمع هؤلاء الأبناء المبعدون فيما بعد وقتلوا أباهم وأكلوه" وحققوا بأكلهم لأبيهم كراهيتهم له، ثم أخذت دوافع الحب نحو الأب المقتول تظهر بعد ذلك بوضوح، وأخذ الأبناء يندمون على الذنب الذي اقترفوه مما دفعهم إلى وضع قواعد وقوانين "تابو" فيما بينهم تحّرم عليهم

---

[1] المصدر السابق، ص 278.

ما سبق أن حرّمه عليهم الأب المقتول، وهذا هو منشأ "تحريم زواج المحارم" وقد أقام الأبناء بديلا للأب وهو حيوان "الطوطم" وأخذوا يقدسونه ويحمونه لتخفيف حدة شعورهم بالذنب[1].

يرى فرويد عقدة أوديب الأصلية، وفي النظام الطوطمي الذي نشأ نتيجة لها، أهمية إجتماعية كبيرة، فهو يعد عقدة أوديب الأساس الذي قامت عليه الأنظمة الإجتماعية والدين والأخلاق فنشأت الأنظمة والنواهي وما تتضمنه من شعور اجتماعي للقضاء على المنافسة بين الأبناء بعد قتل الأب ولولا وضعهم لهذه الأنظمة والنواهي لتقاتل الأبناء فيما بينهم ولأدى إلى انقراض المجتمع الإنساني.

وأخيرا فإنّ فرويد لم يصنع إسم أوديب ولم يخترع قصته بل إنّه بنى إسم عقدة أوديب على القصة الأسطورية التي بنى عليها سوفوكليس مسرحيته، ولم يعتمد فرويد على الحوادث الأسطورية فحسب، بل لقد وجد في المسرحية نفسها ما يشير إلى أن فكرة الاقتران يالأم كثيرا ما تراود الناس في أحلامهم، والواقع أن فرويد استطاع أن يوظف اكتشافه لعقدة أوديب توظيفا مفيدا من البداية حتى النهاية، ذلك انه إنما كتب قبل موته: "أتيح لنفسي الإعتقاد بأنه لو لم يكن للتحليل النفسي من نجاحات سوى إكتشاف العقدة الأوديبية المكبوتة، فإن ذلك سيكون كافيا لجعله في صف المكتسبات الثمينة الجديدة التي أنجزها النوع الإنساني"[2] .

لقد تبدّت عبقرية سوفوكليس في اختياره نقطة البداية، حيث أنه جهد كي يتناول أغنى ما في حلقات أسطورة أوديب من فعل درامي، ونعني به تطوع أوديب للبحث عن قاتل لايوس مهما كان ثمن هذا البحث، لكي يقودنا في النهاية إلى ذروة الفعل الدرامي من خلال مواجهة أوديب لنفسه... القاضي والقاتل يتجسدان في شخص واحد.

وهكذا يمكن القول أنّ مسرحية أوديب عمل خصب يوحي بعشرات الأفكار لكننا في النهاية مع الرأي القاتل بأن سوفوكليس لم ينظر إلى كل هذه القضايا إلاّ بالقدر الذي يمكنه من خلق مأساة خالدة تهم الإنسانية جمعاء.

---

[1] سيجموند فرويد، الطوطم التابو، تر: علي ياسين، دار الحوار، ص18.

[2] فرويد وآخرون، الأوديب عقدة كلية، تر: وجيه سعد، دمشق، وزارة الثقافة ط1، 1996، ص9.

1 -إستقبال أوديب عالميا.

مأساة أوديب من أهم المآسي التي أخضبت الفكر الانساني على مرّ العصور، ولقيت تجاوبا من القراء ومن مشاهدي المسرح، إنها تثبت أن الشخصية الفنية لا تنتهي بانتهاء العمل الفني بل هي مثل الكائن الحي تتطور بمرور الزمن، وقد كان المسرح الساحة الرئيسية التي ازدهرت فيها شخصية أوديب وإن تنازعتها ساحات أخرى ابتداءا من الأساطير التي نشأت فيها حتى علم النف الفرويدي في بدابات القرن العشرين. فقد تناولها أعظم شعراء المآسي اليونانية الثلاثة في القرن الخامس قبل الميلاد: إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس ولكن يبدو أن نص سوفوكليس هو النص الوحيد الذي نجا من الضياع [1].

أما من أبرز الكتاب الفرنسيين الذين كتبوا عن أوديب تجد أن الشاعر المسرحي كورني عاد للمسرح بمسرحية "أوديب" بعد أن كان قد اعتزل المسرح، فلقد صبغ الأسطورة بلون العصر الذي عاش فيه، عقّد القصة وأكثر من أحداثها وجعل للمسرحية أسلوبا عاطفيا ميالا إلى الغزل لكي يرضي الجمهور، كما أعلن كورني في مقدمة مسرحيته أنه لم يكن في قصة سوفوكليس أية علاقة غرامية، فقد اضطر من أجل ذلك أن ينشء للايوس[2] بنتا تكبر أوديب سنا، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين ثيسيوس ملك أثينا حُبا يشغل أبطال المسرحية به حيث لا يشتغلون بالقصة نفسها إلى حين توشك المسرحية على الإنتهاء.

وأوديب في مسرحية كورني لا يخضع لقدره أو يستسلم له بل يتهم الآلهة باجباره وهو الإنسان البريئ لهذا فهو لا يفقأعينيه إلاّ تعبيرا عن قسوة الآلهة.

وفي عام 1718 نشر فولتير معالجة لمأساة أوديب بعد أن وجه النقدا إلى كل من سوفوكليس وكورني، لكنه لم يكن بأحسن من كورني ولا أضاف (لكنه لم يكن بأحسن من هذا الأخير) جديدا للقصة اليونانية، فقد أنشأ بدوره قصة حب لكنّها هذه المرّة بين جوكستا وعاشق قديم لها يدعى فيلو [3].

---

[1] ألاردس نيكول، المسرحية العالمية، تر: عثمان نويه، القاهرة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ج1، 1970 ص 196.

[2] طه حسين، الأدب التمثيلي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، م15، د.8. ص 468.

[3] نفس المرجع، الأدب التمثيلي، مقدمة أوديب ملكا، ص 468.

كتب أندريه جيد* بين عامي 1930 و1932 دراما من ثلاثة فصول بعنوان "أوديب" وترجمها إلى العربية طه حسين عام 1946 وكتب للترجمة مقدمة عامة خصّ فيها أوديب أندريه جيد قائلا: "إن أوديب في المسرحية رجل قد تم نضجه الفلسفي بأرقى معاني هذه الكلمة في القرن العشرين متعد بنفسه إلى درجة تسوء الناس جميعا، فالجوقة مشفقة على مصير المدينة، يدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا[1] الوباء الذي يصب على المدينة بلاء عظيما، والشعب الذي كان مفتونا بالملك يتطير به ويهم أن يكيد له ليصرف إليه وحده غضب الآله من دون المدينة، والكاهعن ساخط عليه، لأنه لا يؤمن بالآلهة." ثم سيتطرد طه حسين قائلا: "وقد يكون مما تمتاز به قصة أندريه جيد عن القصص الأخرى التي حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تنته عند قصة أوديب ملكا، لكنها ألمت من قريب جدا بالقصة الثانية التي وضعها سوفوكليس، وهي قصة أوديب في أنهم يصلون البركة بشخص أوديب، ويكونها للأرض التي معه، لكن أوديب يمضي ساخرامن هؤلاء جميعا، وينقذ ما إعتزمه ويترك مدينة طيبة".

وعليه فإنّ أندريه جيد لا ينشد الحقيقة فحسب، بل الابتكار والتجديد في مقابل كريون الذي يقيد الماضي [2].

2 -إستقبال أوديب عربيا.

لم يلتفت أحد من روّاد المسرح في الوطن العربي إلى شيء من الأساطير حتى الثلاثينيات من القرن العشرين، على الرغم من أنّ حركة المسرح في الوطن العربي ترجمة وتعريبا وتأليفا، قد بدأت أوساط القرن التاسع عشر، فما ترجم من مسرحيات تعتمد الأسطورة مصدرا لها كان قليلا، ولم يترجم شيء من المسرحيات الإغريقية القائمة على الأساطير فقد غلب على الترجمة ميلها نحو المسرحيات التاريخية والإجتماعية، ولم يعن أحد بشيء من المصادر الأسطورية حتى سنة 1932، حين أصدر توفيق الحكيم مسرحية أهل

---

[1] أندريه جيد (1869-1951): كاتب ومسرحي فرنسي، منح جائزة نوبل في الأدب سنة 1947، من أعماله الأدبية: أوديب- الباب الضيق- الأخلاق.

[2] المصدر نفسه، ص 472.

الكهف فشق بذلك طريقا جديدة أمام الأدباء في الوطن العربي لكتابة المسرحية النثرية التي تعتمد الأسطورة مصدرا لها [(1)].

ومع تطور الحياة الثقافية العربية لم يعد أوديب غريبا عنها، إذ أنّه دخل من أوسع الأبواب الثقافية بترجمة طه حسين لستة مسرحيات لسوفوكليس من بينها "أوديب" بالإضافة إلى ترجمة لمسرحية أوديب لأندريه جيد، وقد كون ذلك أُلفة كبيرة بين الجمهور وبين أسطورة أوديب، مهدت لظهوره، وتعد مسرحية الملك أوديب لتوفيق الحكيم التي كتبها سنة 1949 الباكورة الأولى لتجلي أسطورة أوديب في المسرح العربي شكرلا ومضمونا، وفي المقدمة الطويلة التي كتبها توفيق الحكيم لمسرحية "الملك أوديب" يتحدث المؤلف عن إهمال العرب القدماء لأدب اليونان المسرحي وعدم ترجمة شيء منه، ثم يقول توفيق الحكيم إنه لا سبيل إلى تأصيل فن الأدب المسرحي في أدبنا العربي الحديث إلا بدانا بالأخذ عن اليونان القدماء ومزج أدبهم بقيمنا الروحية الشرقية، ولهذا إستمد توفيق الحكيم موضوع مسرحية "براكسا أو مشكلة الحكم"من شاعر الكوميديا الأكبر عند الإغريق القدماء أرستوفان ثم عكف توفيق الحكيم فيما يقول أربع سنوات على دراسة وتحليل مسرحية سوفوكليس وحاول أن يعالج هذه الأسطورة علاجا جديدا يتفق مع مبادئ الإسلام من جهة ومع نظريته الخاصة إلى الحياة من جهة أخرى [(2)].

بعد كتابة الحكيم مسرحيته بأشهر قليلة ظهرت إلى الوجود مسرحية "العلي باكثير" عالج فيها أسطورة أوديب وكانت بعنوان "مأساة أوديب" وقد تأثر باكثير بالحكيم إلى حدّ كبير واقتربت مسرحيته من مسرحية الحكيم إلا أنّه أسبغ عليها الكثير من المعاني الإسلامية فأضحت مسرحية ذات طابع إسلامي ولكن أعطاها بعدا سياسيا يرمز إلى ما حل بالعرب من ذلّ إثر نكبة سنة 1948[(3)].

ثم ظهرت مسرحية سالم "كوميديا أوديب" سنة 1970 التي كتبها باللهجة المصرية، وقد ابتعد سالم بمسرحيته عن توفيق الحكيم وباكثير بل عن سوفوكليس نفسه، وليس معنى

---

[1] توفيق الحكيم (1898-1987) كاتب ومسرحي مصري ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، من أعماله الأدبية: الملك أوديب، أهل الكهف، الحمار الحكيم، رصاصة في القلب.

[2] محمد مندور، مسرح توفيق الحكيم، القاهرة، دار النهضة مصر للطباعة، ط3، ص 72-77.

[3] نفس المرجع ص 74.

ذلك أنه لم يتأثر بهم جميعا إنّما معناه القدرة الخالقة في المسرح الحديث أخذت طريقا جديدا بالاستفادة من تجربة الإبداع المسرحي في تطور المسرح خلال تلك الفترة.

وآخر ما التزم به بأسطورة أوديب شكلا ومضمونا نان فوزي فهمي في مسرحيته "عودة الغائب" التي تتحدث عن مأساة أوديب التي كتبها سنة 1967، إلاّ أنها لم تظهر على المسرح إلاّ سنة 1977، فقد استطاع أن يستفيد من الأعمال السابقة كلها ليخرج في النهاية بعمل مسرحي قدّم من خلاله نموذجا لأوديب معاصر رمز من خلاله إلى واقع مجتمعه الذي يعيشه.

وإذا كانت المسرحيات التي ذكرناها سابقا يمكن أن تصنف ضمن القسم الأوّل التي تتقاطع جزيئياته تقاطعا كبيرا مع القصة الأم فإننا يمكن أن نلحظ بعض المسرحيات التي تندرج ضمن القسم الثاني وتحتاج إلى قراءة وتفسير وفق رؤية نفسية وإجتماعية وتحلل الشخوص والأحداث لترى ظلال تلك الأسطور فيها[1].

[1] عزالدين اسماعيل، قضايا الإسنان في الأدب المسرحي المعاصر، القاهرة دار الفكر العربي، ط2، 1968، ص 108..

مسرحية: الملك أوديب لتوفيق الحكيم

عرض ملخص المسرحية.

الفصل الأول:

يبدأ العمل في بهو القصر حيث يقف أوديب متكئا على أحد الأعمدة، ينظر من خلال الشرفة وهو يفكر فيما يحصل لشعبه، تدخل جوكستا وأولادها ليروا أوديب على هذه الحال فيتساءل أنتخون: "ما باله يرسل البصر هكذا للمدينة"[1].

فتطلب منها أمها أن تذهب لتسأل عنه، فهي وحدها التي يصغي إليها دائما.

ويحس اوديب بوجود زوجته وأولاده فيلتفت إليهم، ويعرفون أن سبب حزنه هو الوباء قد ألم بالمدينة، تحاول جوكستا أن تخفف عن أوديب حيث تقول له إنه لا يملك لدفعه شيئا، وإنه قد فعل كل ما استطاع ، فقد سارع في طلب ترسياس ليوحي إليه ويطلعه على علوم الغيب، لكنها كانت تعرف، كامرأة تحمس من خلال غريزتها، أن هناك علة أخرى تأرق أوديب، ويمهد الحكيم لأحداث في الطريق حيث يجعل أوديب بين عما يداخله من أرق، وتحاول جوكستا أن تبعد عنه فكرة الشر ويلتف الأولاد حول أبيهم، وتطلب أنتيغون من أبيها أن يقص عليهم قصة الوحش الذي قتله، ويظن أوديب أن جوكستا هي التي أوحت لأنتيغون أن تسأله مثل هذا السؤال، فترد جوكستا أنها صفحة من حياته، من حق أولادهما أن يعلموا بها، وبناءا على ذلك يروي أوديب قصته من البداية منذ أن كان في قصر بوليوس وميروبي في كورنثة إلى أن علم ذات مساء من شيخ أطلق لسانه الخمر، أنه ليس ليس إبنا للملك والملكة، وإنما هو لقيط، فخرج باحثا عن الحقيقة حتى انتهى به المطاف إلى حيث أسوار طيبة مكان لقاء الوحش المهول، فيطرح عليه اللغز ويجيب أوديب ليقهره بإجابته، ثم تحكي جوكستا قصة زوجها السابق لايوس الذي مات في ذلك الوقت تاركا إياها في عنفوان الشباب، بعد ذلك يذكر أوديب حادثة مقابلة لايوس في الطريق إلى طيبة وما نتج عنها من مقتل لايوس.

[1]- توفيق الحكيم، "الملك أوديب"، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1

وتحدث جوكستا (أن ما تقوله) عن مرحلة إستقبالها لذلك الذي فرض عليها زوجها، وهل ستحبه، فهي لم يهمها من يكون الظافر بالوحش، ولكن ما يهمها هو من يكون الظافر بقلبها، ثم يدور حديث حول بطولة أوديب المبالغ فيها أمام الوحش.

ويعود الحكيم ليؤكد مشكلة الواقع الحقيقية من خلال تصرفات أوديب نفسه الذي غمرته السعادة في أحضان جوكستا فأنسته البحث عن الحقيقة وهذا ما جاء عن لسانه "نعم.. هذه السعادة التي غمرتني وأنستني ما كنت خرجت له، وما كنت أبحث عنه...".

والواقع انسى جوكستا الحقيقة أيضا فأعماها عما يجري حولها فهاهي تخاطب أوديب: "حقيقتك؟.. ماذا يهمنا من أمر هذه الحقيقة ما دمنا سعداء؟.. لأنه لفخر لي ولأولادنا ألا تكون إلا من صفوة الأبطال".

وتقص حكاية ستمحو سعادتهما تماما، فهي تقول إنه كان لها من لايوس ولد نبذه بعد نبوءة أكدت أنه سيكون شؤما عليه فسلمه لمن يقتله على الجبل، لكنها الآن تعيش في هناء، ويرتعد أوديب لسماع هذه الكلمة، ولسماع صوت أهل طيبة آتين من كل مكان: "لقد ارتعدت وأنت تلفظين كلمة الهناء، أحس شيئا يخيفني الآن من هذه الكلمة.. اسمعوا ماهذا الصوت؟".

ويأتي الكاهن ليطالب أوديب بأن ينقذ المدينة من الطاعون كما أنقذها من الوحش أبي الهول، ويتهمه الكاهنببحثه فيما لا ينبغي له البحث فيه، وسأله أسئلة لا يجب عليه طرحها.

تعبر جوكستا عن خوفها، فيطمئنها أوديب بأن لا شيء جدير بالخوف منه سوى سوى خطر يدنوا منها أو من أولادها، ولكن جوكستا تحذره من الخوض في حديث عن الكهان والآلهة.

ويحضر ترسياس بناء على طلب أوديب فتنصرف جوكستا وأولادها وحين يطمئن ترسياس أنه وحده مع أوديب، يخبره بأن الخطر قائم حوله لا بسبب الطاعون فحسب، ولكن بسبب ضيق الكهنة بعقلية أوديب وكراهيتهم لطريقة تفكيره[1].

---

[1] توفيق الحكيم، "الملك أوديب" ص66-67.

ويرى ترسياس أن الظروف تصب في مصلحتهم للإنقلاب عليه بسبب المحنة، ويسأل ترسياس علاجا لهذه المحنة، لكن ترسياس يعرض عنه فيثور أوديب في وجهه، وأثناء ثورة أوديب يطلعنا الكاتب على المؤامرة التي دبرها ترسياس واشترك فيها معه أوديب نفسه، والمؤامرة هي كذبة من صنع ترسياس الذي أشاع أن أوديب بطل مع أنه في الحقيقة ليس كذلك، فهو لم يلقى وحشا يطرح عليه ألغازا بل مجرد أسد عادي كان يفترس من يتخلف خلف اسوار طيبة قتله أوديب وألقى بجثته في النهر.

وكذبة ترسياس أشاعها من تلقاء نفسه لينصب أوديب ملكا لأنه لم يكن يرضى بكريون وقتئذ، لذلك علم أوديب حل اللغز أنه كان قد أوحي للايوس بفكرة قتل إبنه موهما إياه بأن السماء هي التي ألهمته بذلك، لقصى عن العرش الوريث الشرعي رغبة منه في أن يكون العرش لرجل غريب.

ويحاول ترسياس أن يخيف أوديب من الحقيقة إن هو فعل ما نوى عليه، فيخبره أوديب أنه لن يخاف من الحقيقة إن هو فعل ما نوى عليه، فيخبره أوديب أنه لن يخاف من الحقيقة مهما كانت نتائج فعلته فيقول: "إنك تعرف أن الملك ليس بغيتي. لقد كنت في كورنثة مهدي الذي نشأت فيه.. ولكني هربت من ذلك الملك باحثا عن حقيقة أصلي.. لأني لم أطق الحياة في أكذوبة وجئت هنا.. فإذا بي أعيش في أكذوبة أضخم" [(1)].

وعندما يطمئن ترسياس تماما لجبن أوديب وخوفه من الحقيقة يعلن في وجهه أنه لا يخاف مما سيقولهأوديب عنه للشعب فترسياس أيضا سيعلن الشعب الحقيقة وهي أنه لم يقم بما قام به إلا من أجل رأي يؤمن به: "إنما أردت ان اطوي صفحة الملك في هذه الاسرة العريثقة لأجعلكم أنتم تختارون ملكا من عرض الطريق، مجردا من الحسب والنسب، لا سند له إلا خدمته لكم، ولا لقب له إلا بطولته فيكم.. ذلك أنه لا توجد في أرضكم، ولا ينبغي أن توجد إلا إرادتكم انتم !".[(2)] وينصرف ترسياس مطمئنا.

[1] المصدرالسابق، ص81.
[2] المصدر نفسه ص 119.

ويعود الكاتب للتأكيد على طبيعة علاقة أوديب بأنتغوان، فهي تستأثر باهتمام أوديب أكثر من غيرها، كما تنقل جوكستا حب أنتيغون له وإيمانها الشديد به، وتنطق جوكستا هذه العبارة "إن مصيرك معلق بها" وكأنها تلقي بذلك أضواء على ما يحدث في المستقبل.

ويحضر كريون من المعبد وقد عقد على جبينه غكليل من الزهر، وهو بصحبة كبير الكهنة الذي يطلب من أوديب يرفض ويطلب منه الكلام أمام الشعب، فيخبره كريون أن "إثما يدنس طيبة، لا بد من محوه.. وان دما قد سفك، ولا مفر من غسل ذلك الدم بالدم" ويعرف أوديب للمرة الأولى أن الدم المقصود هو دم لايوس الملك المقتول، ويطلب كريون من أوديب أن يبحث عن القاتل، ويعد أوديب بذلك، إلا أن مفارقة درامية تقع، حيث نعلم ويعلم كريون والكاهن بحقيقة القاتل بينما يجهل ذلك أوديب، ويدور الحوار بين ثلاثتهم، يفهم منه أوديب بالخطأ أن القاتل هو ترسياس نفسه، وتجدد المفارقة الدرامية إلى تلك اللحظة التي تؤدي إلى إفصاح الكاهن بالحقيقة امام رغبة أوديب الملحة لمعرفة القاتل.

لا يستطيع أوديب أن يصدق مرارة الحقيقة، فيواجهها بالاتهام أو اتهام الوحي: "وحي كريون؟.. او وحيكم يا رجال الدين؟!" ويعد أوديب الوحي مؤامرة، ويثور كريون في وجه اوديب الذي إتهمه بالخيانة، وفي نهاية الفصل الاول يخير أوديب كلا من كريون وترسياس بين الموت أو النفي نتيجة لتآمرها عليه كما كان يعتقد.

الفصل الثاني:

يستهل الفصل الثاني بوقوف أوديب والكاهن وكريون في الساحة أمام القصر مقابل الجوقة التي تمثل الشعب، ويعلن أوديب عن الجريمة التي ارتكبها كريون والكاهن ضد شخصه وعرشه. ويقف الشعب في صف أوديب في البداية حيث نرى الجوقة تقول: "الويل لكل من يمس شعرة منك أيها الملك! نحن لن ننسى أنك البطل الذي أنقذنا من أبي الهول إضرب أعداءك يا أوديب بلارحمة ونحن معك.."[1].

---

[1] المرجع السابق ص 130.

وتطلب الجوقة من كريون أن يخبرها بوحي دافيه فتعرف منه أن لايوس مات مقتولا بيد أوديب.

وتتدخل جوكستا في الموقف غير منحازة لأوديب أو كريون وتوضح ان الخطأ إنما وقع في فهم مرمى الوحي لا الوحي نفسهوتحاول ان تدلل على ذلك بنبوءة لايوس القديمة التي قالت إنه سوف يموت بيد الله.. إلا أن إبنه قد هلك منذ أمد بعيد، لقد أرادت جوكستا بذلك ان تبتعد عن الحقيقة إلا أنها اقتربت من تلك الحقيقة التائهة عنهم جميعهم حينما يصاب أوديب بالدهشة ويطلب من جوكستا المزيد من العرفة فيسأل عن الشكل والهيئة التي كان عليها لايوس المقتول ويتأكد بذلك أوديب من الحقيقة وتتضح لعينيه. ويبقى أمل أوديب الوحيد معلقا بالراعي الذي بقي حيا بعد مقتل لايوس، فيرسل أوديب في طلبه فيحضر ليكتشف الحقيقة على يديهفلا يهرب منها بل يواجهها، فيقول مخاطبا كاريون:"صدقت يا كريون!.. وصدق الوحي الذي جئت به من بعد دلفي!.. قاتل لايوس بين أيديكم!.. أيها الناس لن أحاول دفاعا عنه، فاحكموا فيه بما ترون، وأنزلوا به ما يستحق من عقاب"[1].

وتحاول جوكستا الدفاع عنه إلا أنه يرفض دفاعها، وبينما أوديب كذلك، إذا برسول من كورنثة يجيء برسالة إليه، أو بخبر يظن بأنه سار، وغن كان في الحقيقة مليئا بالقسوة ومؤلما، حيث يعلم أوديب من رسول أن طيبة هي مسقط رأسه وبناءعليه يتعرف أوديب للسر الذي يتوق إلى معرفته.

السر هو أنه إبن زوجته جوكستا ولايوس الذي قتله في الطريق، ولا تستطيع جوكستا الصمود أمام موقف صعب جدا فتهم مندفعة نحو القصر، إلا لاأن أوديب يمنعها حتى تستمع إلى ما سيقوله الراعي، لينتهي الفصل هذا بتوضيح من ترسياس يبين فيه حقيقة شعوره تجاه ما يحدث، حيث يؤكد الأكذوبة التي نسجها، فهو نفسه الذي أوحي إلى لايوس بالتخلص من إبنه صغيرا حتى يقتله عندما يكبر، ويتم له ذلك وتحقق أمنية ترسياس في أن ينفى منطيبة وريث عرشها الشرعي ليكون العرش من نصيب رجل آخر، وهكذا تحققت رغبته.

---

[1] المرجع السابق ص 167.

وينهي ترسياس الفصل الثاني قائلا: "اذهب بي أيها الغلام بعيدا عن هذا المكان!.. فقد راق للسماء أن تتخذه!.. نعم!.. إن الإله يلهو وينشئ فنا، ويضع قصة على أساس فكرته.. هي بالنسبة لأوديب وجوكستا مأساة وبالنسبة إلي أنا ملهاة!.. عليكما إذن يا صاحبي هذا القصر أن تذرفا العبرات.. وعلي أنا أن أرسل الضحكات"[1].

الفصل الثالث:

تدور أحداث المنظر الأول داخل القصر حيث جوكستا ملقاة في حجرتها ومن حولها أوديب واولادها، يطلب منهم أوديب أن يبتعدوا عنها قليلا ويطلب أوديب من أنتيغون أن تنصرف وإخوتها وتستنكر جوكستا وضعها وتتمنى الموت، إلا أن أوديب يعبر لها عن حرصه التام على حياتها وتخبره جوكستا أن لا فائدة من البقاء وأن عدوهما هو تلك الحقيقة المؤلمة التي أصر أوديب أن يكشف عنها وهنا يطالب أوديب جوكستا بمواجهة الواقع.

جوكستا: اي واقع نستطيع أن نواجه بعد اليوم؟!.

أوديب: كياننا الواحد.. أسرتنا المتحدة.. قلوبنا المتحابة .. نفوسنا التي تغمرها المودة وتدعمها الرحمة!.. من في مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان؟.. وأي قوة في إمكانها أن تدك هذا البرج المشيد من حب.. وعطف وحنان" ويطلب أوديب منها أن تنهض: "ثقي أنه ما دامت لنا قلوب فنحن صالحون للبقاء! !.

جوكستا: لم نعد نصلح للبقاء معا.." [2].

هنا يبدأ أوديب بالوقوف في وجه الحقيقة.

"الحقيقة !؟.. وما هي الحقيقة.. ما هي قوة هذه الحقيقة؟.. لو أنها كانت أسدا ضاريا حاد المخلب والناب لقتلته وألقيت به بعيدا عن طريقنا.. ولكنها شيء لا يوجد إلا في أذهاننا.. إنها وهم .. إنها شبح.. إن ضربته لا ينفذ في أحشائها.. ويدي لا تنال من كيانها.. وحش مجنح حقا!.. رابض في الهواء.. لا نصل إليه بسلاحنا ولا تقتل سعادتنا بألغازه!...".

---
[1] المصدر السابق ص 199.
[2] المصدر نفسه ص 206.

ويخرج أوديب، وتبدأ جوكستا بإلقاء نظرة الوداع على كل ما حولها، وتوصي أنتيغون بأبيها خيرا إذا ما صار وحيدا، وتؤكد على وصيتها هذه لينتهي المنظر الأول من هذا الفصل.

يبدأ المنظر الثاني والأخير من هذه المسرحية في الساحة أمام القصر والجوقة تحتشد كما كانت في الفصل الثاني ولكن يقف بينها كل من كريون والكاهن، حيث ترثيالجوقة ذلك المصير الذي آل إليه أوديب وجوكستا.

لا تجرأ الجوقة الممثلة لشعب طيبة على إستصدار قرار بشأن أوديب ولا يرضي ذلك ترسياس المسبب الأول لتلك المشكلة، فيتهم الشعب في تفكيره بالجمود وتخبرنا الجوقة بتقدم أوديب الذي يظن أن حكما قد أصدرته الجوقة في شأنه.لكن الكاهن يخبره بأن الشعب لم يستصدر شيئا، ويطلب منه ألا يتراجع فيما وعد به من عقاب لقاتل لايوس، فيخبره أوديب أنه لن يتراجع، بل يطلب منه ان يذكره بنوع العقاب الذي وعد به القاتل، فيعلم أنه الموت أو النفي.

وعليه يطلب أوديب من الكاهن أن يكون عقابه النفي ليرحل مع أسرته عن طيبة، ويأبى كريون رحيله، ويحضر ترسياس فيبدا أوديب يلومه لوما شديداعلى فعلته الشنعاء التي اوصلته إلى ذلك المصير، فيقول مخاطبا إياه: "أنت الأعمى الذي ظن أنه يبصر للناس خيرا مما تبصر لهم السماء!.. أنت الذي اردت فكانت إرادتك وباءا على الأبرياء.. ولو أنك تركت الأمور تجري كما قدر لها أن تجريطبقا لنواميسها المرسومةلما كنت اليوم مجرما!.."[(1)].

يقابل ترسياس كل ذلك بالسخرية والتهكم الشديدين ثم ينصرف لتدوي صيحة آتية من داخل القصر، وتنطلق أنتيغون من بابه لتطلب من أوديب أن يسرع إلى جوكستا، فيتجه الجميع إلى الداخل إلا اوديب الذي تطلب منه الجوقة أن ينتظر معها وبينما هم كذلك إذ بخادم يخرج من القصر وفي عينيه آيات الهلع ويعلن موت جوكستا، وبعدها يخرج أوديب من القصر ليعلن نيته الابتعاد عن أسوار طيبة نافيا نفسه، ويخرج كريون من القصر فيوصيه أوديب خيرا بأبنائه، ويطلب منه إجراء الطقوس الجنائزية التي تلتي بدفن جوكستا وتصر

---

[1] المصدر السابق ص 331-332.

أنتيغون على مرافقته لتكون عينيه اللتين يبصر بهما طبعا بعد أن فقعهما لموت جوكستا، لكنه يرفض في البداية ليوافقة في النهاية.

تحليل المسرحية:

لقد أسهم المسرح العربي بدوره في معالجة مأساة أوديب ولعل أول من فعل ذلك توفيق الحكيم الذي كان من قبل قد قام بمحاولة اولى لعرض التراجيديا الإغريقية.

وفي سياق الإجابة عن سؤال لماذا أوديب بالذات؟ قال توفيق الحكيم في مقدمة مسرحيته: "ذلك أني قد تأملتها طويلا فأبصرت فيها شيئا من لم يخطر على بال سوفوكليس، أبصرت فيها صراعا، لا بين الإنسان والقدر فقط كما رأى الإغريق ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا بل أبصرت الصراع الخفي الذي قام في مسرحية أهل الكهف" هذا الصراع لم يكن بين الإنسان والزمن كما إعتاد قراءها أن يروا، بل هي حرب أخرى خفية قل من التفت إليها، حرب بين الواقع وبين الحقيقة"[1].

فمن خلال هذه المقولة يؤكد توفيق الحكيم أنه لم يتعامل مع الأسطورة الإغريقية تعاملا سلبيا يقوم على الاستنساخ والمحاكاة دون تغيير أو إضافة بل تعامل معها بصورة إيجابية.

إذن إنبثقت إضافة توفيق الحكيم إلى أسطورة سوفوكليس من تحت صراع جديد يعانيه البطل التراجيديأوديب هو بين واقعة وحقيقته، أي واقعه زوجا لجوكستا وحقيقته إبنا لها، كذلك واقعه قاتلا لرجل ما، وحقيقته قاتلا لأبيه، وعلى هذا الأساس يتأكد التباين والتفارق الجذري بين أوديب الإغريقي، وأوديب العربي في نوعية الصراع التراجيدي.

وهذا الفارق في الصراع التراجيدي بين الأوديبين يوازيه أيضا تباعد بين ماهية الأسطورة الاصل وأسطورة توفيق الحكيم المستحدثة،فأسطورة سوفوكليس هي تراجيديا الإنسان المنسحق أمام الحقيقة.

---

[1] توفيق الحكيم، الملك أوديب (مقدمة المسرحية) ص 42-43.

مأساة أوديب سوفوكليس من تدبير الآلهة، ومأساة أوديب الحكيممن ذات البطلبحكم عقلانيته المتطرفة، أوديب سوفوكليس مسيرا يتوهم الحرية، فإن أوديب الحكيم مخير لتوفر فرص الخلاص من المأساة، لكنه رفضها.

إن أسطورة أوديب سوفوكليس هي أسطورة البطل الهارب من قدره بينما أسطورة أوديب الحكيم هي أسطورة الإنسان الباحث عن مأساة.

إن تجاوز أو رفض أوديب الحكيم فرص الخلاص من مأساته، يؤكد عقلانية التطرف[1] وتساميه عن هذه الفرص، ولعل أبلغ شاهد يؤكد تطرف عقلانية قوله: "سأمضي في بحثي عن حقيقتي.تلك رغبة أقوى منّي.. ولا يستطيع أحد ان يحول بيني وبين رغبتي في أن اعرف من أنا ومن أكون؟ " [2].

لئن كانت غاية الحكيم المركزية في مسرحية بيان انسحاق الانسان أمام الحقيقة من خلال الصراع الذي استخدمه، فإنه مع ذلك حافظ على الصراع الموجود عند سوفوكليس وهو الصراع بين الانسان والقدر.

ولما كانت رؤية توفيق الحكيم الذهنية والخلفيته الفلسفية شرقية لا تؤمن بألوهية الإنسان، وإنما بخضوعه لقوى مفارقة له وأنّ إرادة الإنسان حرة ولكن في حدود خاصة فإنه في مسرحيته عبث بترسياس وسخر من إرادته تألهه، ليثبت له انه لم يكن سوى دمية القدر، لقد اختار الحكيم لترسياس نهاية جمعت بين المرارة والسخرية، بين المأساة والملهاة.

إن توفيق الحكيم قد نحت صراعا جديدا يعانيه بطل الإغريق، وحافظ مع ترسياس عله صراع الإرادتين المتفارقتين ودفع شخصياته في الصراع، فإنها تحدث في النهاية وهي الهزيمة [3].

---

[1] المصدر السابق ص 44.

[2] المصدر نفسه ص 47.

[3] عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، ط2 1968، ص 144.

مسرحية: حكاية جوقة التماثيل لسعد الله ونوس.

إتخذ سعد الله ونوس الأسطورة مصدر العدد كبير من مسرحياته وهو اتجاه كان يقوم بخلق الأسطورة وإعادة إحيائها من أعماله هذه مسرحيته "حكايا جوقة التماثيل" حيث تصور هذه المسرحية صمود الغنسان أمام بغي السلطة وتمسكه بروحه الأصلية ليجعل رجل السلطة ينهار من داخله.

عرض ملخص المسرحية:

تتكون هذه المسرحية من تمهيد مسرحي تقوم به الجوقة حيث تتحدث فيه عن أنتيغون سوفوكليس التي انطلقت تبحث عن أخيها لتواري جثته التراب متحدية كريون وكل الاوامر: الجوقة معا: لا نفكر.. لا نفكر.. تلك كانت أنتغون..

- التمثال الثالث: حكاية قديمة... صيرها الزمان مستحيل..
- التمثال الاول: كانت شجاعة..

التماثيل الثلاثة: وانطلقت تبحث عن أخيها لتواري جثته التراب.. لم تبالي بوعد سلطان جديد، لم تخف كل الأوامر.."[1] وتحكي في الوقت نفسه قصة خضرة الفتاة الجميلة التي امتص الحكام المتعاقبون، واحدا وراء واحد جمالها ورموا بهاشاحبة وباهتة اللون، ولقد سيق إخوتها إلى المعتقلات، كما أن فارسها الذي ينتظر قد غاص في الطين، وهي وحيدة تجتر ألمها وحزنها.

التمثال الثالث:"لم يخف الكائن الممحي الوجه مقصده.. كان يريد ألوان عينيها.. وفورة الحياة في أعطافها.. وتنهدث الحمرة في خديها.. سيق أخوها إلى جوف الأسوار.. ونحبت الخضرة في عينيها.. أرادت أن تصرخ.. فتباغت عذابها بألف عين ذئبة تهددها.. وتندس في

[1] سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1965، ص 173-174.

صميم وحدتها.. تعريها في ذلك العصر الذي انهمرت فيه العيون الذئبية تهشمت كل المرايا.. وتمزقت كل الثياب.."[1].

في المنظر التالي يظهر أحد المخبرين حسن ليعبر عن رغبته في إفتراسها فقد وثب على السلطة وآل الأمر إليه، وقد آن له أن يستمع بخضرة مثلما إستمتع بها من قبله من الحكام، وهو أجدر بها منهم: "إليّ.. ها.. لا تمثلي دور الطفلة الساذجة.. لديك من الخبرة ما يتعين أي رجل في العالم"، كما يظهر وحشية كبيرة، إذ يدخل عليه أحد المخبرين ويبدو وكأنه شبيه حسن أو توأمه ليسر إليه كلاما ما، فيأمر على الفور أن يقتل الرجال الذين يبدوا انهم رجال الحكم السابق الذي قضى عليه، ثم يهم بخضرة، فتذكر الماضي وما كان يحلم لها اهلها به من السعادة والهناء وهم ينظرون إلى جمالها المتفتح، ويتكرر دخول المخبر، ليسر بشيء ما لحسن، فيأمر على الفور ان تعلق جثث الرجال: "اقطع رؤوسهم، وعلقها في السوق" ويعود إلى خضرة فيهم بها، فتذكر الماضي وحكايات جارتها الطويلة التي كانت تحدثها بها عن الجنوالعالم المسحور القائم تحت المدينة، فيشمئز المخبر من حديثها، وما يكاد يهم بها حتى يدخل عليه صبي ليقول له: "يقول لك سيديإنّ أحدا لم ينج"، فيقدم المخبر على قطع لسانه، ومرة أخرى يرجع المخبر إلى خضرة ليفترسها، ولكن شيء من الحك بدا يظهر في جسمه، ويكرر ظهور الفتى فيستأصل المخبر لسانه من الجذور ويهم بخضرة، ولكن الحك ينتشر في جسمه فيهم بخنقها ويدخل الفتى مرّة ثالثة، فيقدم المخبر على قتله وتقطيع أوصاله، ويرجع إلى خضرة فتستغيث، وتذكر ثانية قصص جارتها، وحلمها بالحياة والسعادة والزوج، وعندئذ يطغى الحك على جسم المخبر، وكأن النمل يأكله، ويجن من الحك جنونا فيقول مخاطبا خضرة: "لا.. لا يجوز.. إنك تعذبينني.. لولا اللسع والحكيك.. سترين.. سيرى الجميع.. في النهاية.. إنني الأجدر.. سأنتصر.. لعنة الله عليك.. يسقط على الأض.. ينتهي كل شيء ويعمم الصمت"[2] وتبقى خضرة صلبة متماسكة تذكر ماضيها وأهلها وحلمها، ثم يدخل الصبي معافى وعلى هذا يسدل الستار.

---

[1] المصدر السابق ص 179.
[2] المصدر نفسه ص 216-217.

2- تحليل المسرحية:

المسرحية ليس فيها حدث مسرحي بالمعنى المعروف، فهي حوارية بين أعضاء الجوقة ثم تصبح حوارية بين حسن وخضرة حول أمور السلطة والإنسان وتتحول الحوارية بالتدريجإلى مناقشات بين السلطة والرعية وتنتهي بتهديد السلطة لأن الرعية وهي النمل الذي لا تشعر به السلطة، ستنقض على السلطة حتى تقضي عليها[1].

فهاهي المدينة التي ترمز إليها خضرة، بأصالها تصد وتقاوم مقاومة عملها الرفض والاستنجاد بأصالة المدينة وعراقتها المتمثلة في تراثها الروحي من حكايات الجارة التي لا تنتهي، وهاهو الصبي الذي يظهر ثلاث مرات ليقطع لسانه، ثم يجثه من جذوره، ثم يقتل ويفرم جسمه يظل في النهاية سليمامعافى، إنه روح المدينة وأصالتها ومستقبلها المتجدد الدائم الشباب الذي هو اقوى من عسف الباغين ومن تسلطهم، إن عسف هؤلاء يعمل في داخلها بذور فنائه، على حين تظل خضرة رمز المدينة الصامدة.

لقد وثب المخبر على السلطة عند سعد ونوس في مسرحيته مثلما تولى كريون الملك بعد أوديب، ثم راح المخبر ينتهك حرمة المدينة ويمارس فيها العنف والقتل، مثلما راح كريون يطبق أشد القوانين عسفا على طيبة، ومثلما صمدت انتيغون في وجه كريون وتحدت امره فدفنت اخاها، متمسكة بالقيم الروحية، كذلك صمدت خضرة وتحدث المخبر وتمسكت بالروح الأصيلة لمدينتها، وإذا كان ترسياس رسول الآلهة، لم يفلح في إنقاذ أنتيغون فإن الفتى الرسول المجهول قد استطاع أن ينقذ خضرة.

هناك عناصر أخرى تربط بين المسرحيتين على اساس من التناقض والمفارقة أحيانا، والتشابه والتقارب أحيانا أخرى، فالجوقة تؤكد صدور المسرحية عن الأساطير الإغريقية القديمة لأنها نفسها جزء من التقليد المسرحي عند الإغريق والجوقة نفسها عند سعد الله

[1] فرحان بلبل، من التقليد إلى التجديد في الادب المسرحي السوري، منشورات المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، ط1، 202، ص 438.

ونوس تشير إلى تلك الاساطير الإغريقية وحين تقول: "تلك كانت انتيغون.. انتيغون.. حكاية قديمة صيرها الزمان مستحيلة"[1]، وتعمل أحيانا على فك الرموز وشرحها.

إن سعد الله ونوس معني بشكل واضح بالجزئي والخاص واليومي ليصل من خلاله إلى الكلي والدائم، فهو يغوص في اعماق الفرد ويظهر مكوناته، وهو فرد مرتبط ببيئته.

وواضح أن سعد الله يرتبط من خلال الأسطورة، بالواقع السياسي المحلي غرتباطا قويا وواضحا فيه حدة وعنف وفيه جرأة وبسالة.

لقد كان صدور سعد الله في مسرحيته عن الأسطورة الاغريقية صدورا مدروسا يدل على وعي وذكاء، كما يدل على موهبة وقدرة متفتحة وحين كتب مسرحيته كانت الأسطورة قريبة منها، بقدر ما كانت بعيدة عنها فهي تستوحيها ولا تقتبسها، إذ تملك مسرحيته إستقلالها وذاتها وشخصيتها.

[1] سعد الله ونوس، حكايا جوقة التماثيل، ص 173.

ومما سلف البحث فيه تمكنا من الوصول إلى عدة نتائج أهمها:

- أن الأسطورة الأوديبية من أعمق الأساطير وأغناها بالدلالات والمعاني وأكثرها لغزا، أما مسرحية سوفوكليس "أوديب ملكا" فقد عدها ناقد الدراما الأول أرسطو نموذجا للمسرحية الكلاسيكية الجيدة، وطبق عليها نظريته التي عرفت باسمه.

- درس فرويد وأتباعه من مدرسة التحليل النفسي بطل الأسطورة وربطه بسيكولوجية الإنسان المعاصر وحالته النفسية منذ طفولته.

- لقد لقيت الأسطورة تجاوبا من الكتاب وجمهور القراء على مر العصور، فكان المسرح الساحة الرئيسية التي ازدهرت فيها شخصية أوديب، فعالجها الكتاب من الإغريق والرومان، واتخذها كتابنا العرب مصدرا لكتاباتهم مستفيدين ممن سبقهم في هذا المجال من الكتاب عبر الترجمات التي تمت من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

- ينهل كتابنا العرب من أسطورة أوديب الإغريقية بصورة عامة ولكن كتاباتهم لم ترقى إلى مستوى تشكيل ظاهرة متميزة.

- الأسطورة لم تعد أسطورة مجردة بل غدت فكرة فنية.

- اتخذ العرب الأسطورة مصدرا عبر اتجاهين:

الإتجاه الأول: إقتبس الأسطورة وقدمها كما هي، وطرح من خلالها فكرة أو أفكار كلية مجردة كاللذة والألم، والعقل والعاطفة والإنسان والآلهة.

الإتجاه الثاني: هو خلق الأسطورة وإعادة إحيائها، وتمثل في خلق حبكة تشير إلى أسطورة ما وترتبط بها ارتباطا خاصا.

- أول من أسهم في معالجة "أسطورة أوديب" توفيق الحكيم حيث كان فاتحة الكتاب في عرض الأسطورة من خلال عقلية عربية.

- إعتمد توفيق الحكيم على مدرسة التحليل النفسي لاسيما المدرسة الفرويدية في رسم الشخصيات فأوديب وجوكستا اللذان يرمز إحدهما إلى مبدأ الواقع وترمز الأخرى إلى مبدأ اللذة.

- أوديب نموذج للجيل الملعون وصورة خالدة للضحية البريئة تحت ضربات القدر.

- سعد الله ونوس الذي تناول الأسطورة تناولا غير مباشـر حيث قام بخلق الأسطورة وأعاد إحيائها، واستخدم جزيئات وعناصر من المسرح الإغريقي بطريقـة جديدة ترتبط بالواقع الحاضر وبالماضـي الأسطورة في آن معا.

وفي الأخير يمكــن القول إن أسطورة أوديب تقدم صورة شخصية للبشريــة في طموحهــا وشقائها، فقد كانت وما تزال المعبر الأصيل مما يثور في نفس الإنسان ومشاعره وعواطفه من متغيرات نتيجة لعلاقته مع الواقع ومحاولته تملكه.

لقد كانت بالأسطورة بالنسبة إلى الإنسان قديما الفلسفة والحكمة والشعر والعلم والأدب والغناء والفن، فهي بالأمس واليوم جماع لأنشطة كثيرة فيها التفكير والانفعال والإبداع.

قائمة المصادر والمراجع بالعربية

1. أحمد زياد محبك: حركة التأليف المسرحي في سوريا 1945- 1967، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق ط 1982.
2. ألاردس نيكولا: المسرحية العالمية، تر: عثمان نويه، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة 1970.
3. إبراهيم عبد الرحمان محمد: النظرية والتطبيق في الادب المقارن، منشورات دار العودة، بيروت 1982.
4. إبن منظور: لسان العرب، تنسيق وتعليق علي شيري، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988.
5. سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1965.
6. عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، أساطير البشر، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط1 1986.
7. عثمان نويه، الكاتب العربي و الأسطورة، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1968.
8. عز الدين اسماعيل، قضاياالإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة ط2 1968.
9. فهد اسماعيل اسماعيل، الفعل الدراميونقيضه، منشورات دار العودة، بيروت. ط1، 1911.
10. فرحان بلبل: من التقليد إلى التجديد في الأدب المسرحي السوري، منشورات المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، ط1 2002.
11. كوليت إستيه: أسطورة أوديب، تر: زياد العودة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ط1 1989.
12. محمد منذور: مسرح توفيق الحكيم، منشورات دار النهضة مصر للطباعة، القاهرة ط3 دت.

1. إديث هملتون، الميتولوجيا، تر: حنا عبود، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق. ط1، 1990.
2. أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الثقافة، بيروت 1983.
3. سوفوكليس، أوديب الملك، تر: علي حافظ، وزارة الاعلام من المسرح العالمي، الكويت، ط1 1986.
4. سيجموند فرويد، الطوطم والتابو، تر: بوعلي ياسين، منشورات دار الحوار.د.ت.
5. سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، منشورات دار المعارف، القاهرة ط2 1969.
6. فرويد وآخرون، الأوديب عقدة كلية، تر وجيه أسعد منشورات وزارة الثقافة. دمشق ط1 1996.
7. كوليت إيستيه، أسطورة أوديب، تر: زياد العودة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ط 1989.

فهرس المحتويات

الشكر

الإهداء

مقدمة..أ

مدخل: نشأة الأسطورة وأثرها في الفكر البشري..04

الفصل الأول: أسطورة أوديب بين المسرح العالمي والعربي

المبحث الأول: أوديب بين الأسطورة والمسرحية..09

1 - أوديب أسطورة..09.

2 - أوديب مسرحية..12.

3 - أوديب عقدة نفسية..18.

المبحث الثاني: إستقبال أوديب عالميا وعربيا..21

1 - إستقبال أوديب عالميا..21

2 - إستقبال أوديب عربيا..22

الفصل الثاني: تأثير أوديب في المسرح العربي.

المبحث الأول: تأثير أوديب المباشر..26

1 - مسرحية الملك أوديب لتوفيق الحكيم..26.

2 -تحليل المسرحية 33

المبحث الثاني: تأثير أوديب غير المباشر 36

1 -مسرحية حكايا جوقة التماثيل لسعد الله ونوس...36

2 -تحليل المسرحية 38

- خاتمة 41

- قائمة المصادر و المراجع العربية.

- قائمة المصادر و المراجع المترجمة.

- فهرس المحتويات..46